الثقافة وعلاقة الأنا بالآخر

د. برهان مهلوبي*
د. منذر شباني**
رؤى حكمات محمود***

(تاريخ الإيداع 8 / 6 / 2021. قبل للنشر في 4 / 8 / 2021)

□ ملخّص □

أدى التقدم الكبير في الساحة العالمية في المجالات كافة ، وما رافقه من أزمات ومتغيرات متنوعة ومتعددة من أهمها انتصار التكنولوجيا على الاخلاق والعادات والتقاليد والمعارف القديمة ، أدى إلى ازدياد الهوّه بين الاجيال، بسبب التنوع الكبير على صعيد المعارف والصناعات وكذلك البُنى الثقافية والاجتماعية ، لذلك وجب العمل على ايجاد ثقافة جديدة ومختلفة تتناسب وطبيعة المرحلة الجديدة بتحولاتها الكبرى في المجالات السياسية والصناعية والاجتماعية والمعرفية ، التي فرضت أسلوب تعامل جديد ومختلف مع المعارف التي وجدت في زمان ومكان جديدين يحملان سمات وملامح الثقافة الجديدة ، وذلك من أجل تقريب المسافة بين الأجيال التي تباعدت أولاً، والوصول إلى صيغة ثقافية تتناسب وطبيعة المجتمعات المتخلفة التي تطمح للوصول إلى مستوى من التقدم يضاهي التقدم الغربي وساعدتها على ذلك ثانياً، بتقديم الأسس والمبادئ الملائمة لتحقيق هذا التقدم.

الكلمات المفتاحية: التكنولوجيا، الأخلاق، المعارف، الفراغ، الثقافة، البُنى، الزمان، المكان، المجتمعات، التقدم، المبادئ.

* أستاذ ، قسم الفلسفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية، سورية .
** أستاذ ، قسم الفلسفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية، سورية .
*** طالبة دراسات عليا (دكتوراه) ، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية.

Culture ,Self and Other Relation

Dr. Prhan Mahloubi*
Dr. Munther Shabani **
Roaa Hkmat Mahmoud ***

(Received 8 / 6 / 2021. Accepted 4 / 8 / 2021)

□ ABSTRACT □

In the wake of the significant advancements at all levels associated with the crisis and different shifts ,most importantly the technology triumph against morals ,values ,customs and the ancient intellects drives into a gab escalation among generations due to the diversity at the levels of the intellects ,manufactures and also the social and cultural structures. Thus, it must be searching for a new and different culture adequate to the nature of the new era with its enormous shifts at political ,industrial ,social and intellectual sectors ,which assign a new and different approach of communicating the intellects which differently are being in a new place and time carried out the characteristics of the new culture**.** However ,it aims to shrink the distances among the far -away generations and attains a cultural form associates the backward -societies which , targets advancement like the West.

Key words :technology, morals , intellects , space,culture, structures,time ,place ,societies , advancement, principles **.**

***Professor , Department of Philosophy, Department of Philosophy, College of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia.**
****Professor, Department of Philosophy, Department of Philosophy, College of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia.**
*****Postgraduate Student (PhD), Department of Philosophy, College of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia.**

مقدمة

يعتبر مفهوم الثقافة بأسسه وقوانينه ومبادئه المحور الأساسي الذي يساهم في تطور المجتمعات نظراً لأهميته في العلوم الاجتماعية والثقافية والسياسية كونها عنصر ضروري في التفكير حول الكيفية العقلانية التي تساهم في تقديم المبادئ الأساسية التي ستساهم في تحقيق التطور والتقدم للشعوب ، وكون الانسان هوكائن اجتماعي ثقافي مفكر في جوهره ، كائن عاقل وناطق يحتاج إلى أسس ثقافية وفكرية لتطوير مجتمعه ، يتوجب على الثقافة تقديم أسس تساعد الانسان على التكيف مع بيئته ومجتمعه أولاً ، ثم مساعدته على تكييف مجتمعه وبيئته لتحقيق مشاريعه وحاجاته، لأنّ تغيير الطبيعة والمجتمع والانسان أمر ممكن بواسطة الثقافة ذلك أنتّ الثقافة هي محصلة للمعارف التي قدّمها ويقدمها الانسان منذ القدم ، هذه المعارف التي تساهم في تطوير العلوم الانسانية وبالتالي تطور البشرية جمعاء .

لكن ما الجديد الذي قدمه مفهوم الثقافة للمجتمع والانسان؟

وما الأسس والقوانين التي يجب على المجتمعات اتباعها لتحقيق التقدم ؟

أهمية البحث وأهدافه

أهمية البحث:

يعد موضوع الثقافة وقوانينه من أهم الموضوعات والأسس التي يجب على المجتمعات ككل توطيدها من أجل الوصول إلى درجة كبيرة من التقدم والتطور كونها تقدم لنا الأسس العلمية التي تساهم في تقديم المعارف الجديدة.

الهدف من البحث:

تأكيد أهمية العملية الثقافية في تقديم الأسس والمبادئ المعرفية الهامة ، والهادفة لتقديم الحلول للمشكلات المعرفية التي تواجه الانسان وهو في طور العمل على تحقيق التقدم له ولمجتمعه وللإنسانية جمعاء .

منهج البحث:

سنحاول في هذا البحث اتباع المنهج النقدي، كون الثقافة تحوي منظومة معارف ديناميكية متطورة متغيرة لأنها تنتمي إلى مصادر معرفية متنوعة من حيث الزمان والمكان .

أولا: التنوع المعرفي وضرورة التغيير:

إنّ التنوع الثقافي والاقتصادي والسياسي وحتى الفكري المتواجد في حياة الشعوب التي تطمح للتقدم والتطور كلٌ من منظورها الخاص وثقافتها الخاصة التي تساعدها على تقديم نفسها بصورة تتناسب وطبيعتها الاجتماعية والفكرية . هذه الصورة التي تمثل ثقافتها التقدمية المتطورة ، يمثل هذا التنوع الذي يغني التجارب الإنسانية وكذلك الحضارة البشرية أكبر عقبة في وجه المد الاستعماري والهيمنة الاستعمارية سواءً من الناحية الثقافية أو الفكرية وحتى الاجتماعية والاقتصادية وكذلك السياسية ، هذه الهيمنة وهذا المد الذي تقف وراءهما الدول الكبرى الطامحة للسيطرة على الساحة العالمية الثقافية والفكرية كما سيطرت على الصناعة وغيرها لتسيطر على العقول الباحثة المفكرة التي تعد القوة الرئيسية في تحقيق النمو والتقدم والتطور لمجتمعاتها. وهذا ما أكد عليه اسماعيل الملحم عندما قال حول ذلك:((يشكل التمايز

الثقافي بين الأمم والشعوب إثراء للحضارة الانسانية ، وهوما يصبح عقبة كأداء في طريقة الهيمنة التي تسعى إليها مشاريع الهيمنة والاستقلال والاستعلاء التي تديرها الاحتكارات العالمية))[1] .

بالرغم من التقدم الكبير الذي حققته الحضارة الغربية على الأصعدة كافة ، وما قدمته للبشرية ، إلّا أنها حضارة نسبية متغيرة ، خاضعة لتطور تاريخي يفسح المجال للعلم وقوانينه بوضع أسس جديدة تتناسب مع الأوضاع والظروف المتطورة في كل عصر من العصور ، والقائمة على مجموعة من الأسئلة يطرحها الانسان محاولاً الاجابة عليها من خلال قوانين ومبادئ العلم التي تعتمدها الحضارة الراهنة ، والكشف عن طرق جديدة تفتح السبل أمامه للولوج إلى مكامن العلم النقدي الحديث ، ليؤكد وجوده الفعلي في خضم التطور التاريخي الذي تخضع له الحضارات ككل . والحضارة الحديثة حضارة ليست ثابتة بل قابل للزوال كما زالت الحضارات السابقة عليها والتي قامت على أنقاضها كاليونانية والاسلامية وغيرها. فبتغير الزمان والمكان والاوضاع وبتطور التاريخ تتطور الحضارات وتتغير وتبحث عن طرق جديدة لتقديم معارف متطورة تناسب روح العصر المتقدم . وهذا ما تحدث عنه خاتمي عندما قال : ((الحضارة الغربية موضوع بشري هي أيضاً ، وعليه فهي نسبية وممكنة الزوال ، اللهم إلا أن يبالغ أحدٌ ما فيدعي أنّ ينبوع تساؤلات الانسان قد نضب وجف مع طلوع شمس الحضارة الحديثة ، أوليست الحضارة والعالم والانسان استجابة يرد بها الانسان عن تساؤلاته واحتياجاته المتنوعة والمعقدة ؟ من الطبيعي أنّ ثمة تساؤلات واحتياجات مهمة وتاريخية تنصب الاجابة عليها في عملية نشوء الحضارة ؟ كما وأنّ هناك تساؤلات واحتياجات تولد في ظروف زمنية ومكانية وتاريخية خاصة تحمل في حناياها طبيعة الحال وملامح الزمان والمكان والتاريخ وتأثيره، ولهذا السبب تتبدل الحضارات، إذ لا توجد حضارة ثابتة وخالدة فقط))[2] .

هذا التحول والتطور التاريخي الذي أصاب البنية البشرية والنوع البشري من جراء التقدم الذي خضع الانسان له ، وفرض عليه العمل على ضرورة وعي التحول لتشكيل بُنى وصيغ مفاهيمية جديدة تتيح الفرصة لبروز تصورات وتحليلات جديدة ، وتقديم دلالات وتوليد حركات معرفية ومفاهيم جديدة مثلت روح العصر الحركي المتنامي ، تساعده على فهم معطيات هذا العصر المتطور ومجاراته ، وإدراك أثره على تطور الطبيعة البشرية في تغيير المفاهيم عن طريق تغيير وتبدل دلالاتها الدالة عليها وعلى المعارف في الأصعدة كافة . هذا التطور الذي منح الثقافة مفاهيم جديدة ومعارف جديدة زادت من مفرداتها فأغنت الساحة الثقافية بمصطلحات جديدة تساهم في تطوير المعارف . وهذا ما قالته خيرة حمرة العين في كتابها جدل الحداثة مؤكدة على ذلك: ((إنّ الوعي بضرورة التحول ، واستمرارية تطور طبيعة الأنواع والصّيغ التطورية للمفاهيم ، من شأنه أن يتيح الفرصة لبروز الكثير من التصورات والتحليلات والخلايا المعرفية والمفهومية التي تجسد بفعالية روح العصر وحركيّة الفكر المعاصر))[3].

إلّا أنّ الانفتاح على التغير المستمر في حال المجتمعات الغربية المتقدمة لا يعني الأخذ بمنجزات المجتمعات الغربية ذات الطبيعة المختلفة عن طبيعة المجتمعات الشرقية ، كما أنّ التحرر من هيمنة الثقافة الغربية يتم من خلال التخلص من هيمنة التراث وتعاليمه التي لم تعد صالحة في زمن التغير والتطور الحديث الذي أصاب بنية المجتمعات ككل ، وذلك من خلال نقد الأسس التي قام عليها التراث أولاً ومن ثمّ نقد الأسس التي قامت عليها الثقافة

[1]–الملحم، اسماعيل، جدل الثقافة والسياسة ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2012، ص63.

[2]– خاتمي ، محمد، مطالعات في الدين والاسلام والعصر ، دار الجديد ، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص65.

[3]–حمرة العين، خيرة، جدل الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996، ص71.

الغربية للوصول إلى الأسس التي تتناسب وطبيعة المجتمعات التي وصلت إليها الحضارة العالمية . وهذا ما نوّه إليه محمد عابد الجابري في كتابه إشكاليات الفكر العربي المعاصر عندما قال في ذلك: ((إنّ التحرر من هيمنة التراث لا يعني الهروب منه ولا الالقاء به في سلة المهملات ، مثلما أنّ التحرر من ثقافة الغرب لا يعني الانغلاق دونها))[4].

إنّ بناء ثقافة المجتمعات وحضارتها يحتاج إلى تفكير ناقد للمعارف الوافدة إلى الذات الانسانية المتأثرة بالأفكار الجديدة التي تتضمنها المعارف الحديثة والتي تؤدي إلى توسيع نطاق العمل الجمعي الفكري والثقافي لابتكار أدوات وأساليب جديدة تتناسب ومستوى التطور الحاصل ، وذلك باستخدام لغة جديدة لقراءة العالم الجديد وثقافته قراءة جديدة تساهم في شرح الوقائع والأحداث التي يتعرض لها العلم والعالم من جراء التطور التكنولوجي والتقاني الواسع الطيف ، شرحاً معرفياً يحقق النفع للمجتمعات الحالمة بالتقدم. وهذا ما وضحه علي حرب في كتابه أوهام الهوية بقوله: ((التفكير المنتج والفاعل ، هو ما به نشتغل على الذات ونقيم علاقة نقدية مع الأفكار ، أي ما به نضاعف إمكانات التفكير والعمل بابتكار أدوات فكرية جديدة واستخدام لغة مفهومية مغايرة في قراءة العالم والتعاطي مع الوقائع))[5].

ومن هذه النقطة بالتحديد ، أي نقد المعارف ككل ، يتوجب على الباحثين المنبهرين بالحداثة الغربية فهم الأسباب التي دفعت بالدول الأوروبية للنهضة بداية ثمّ ولادة الحداثة من رحم هذه النهضة العربية ثانياً، من خلال نقد كل ما هو جديد وربطه ببيئته التي وجد فيها ، ومعرفة مسببات وجوده ، والطريقة التي وجد بها ، لأنّ لكل مجتمع خصوصيته وطبيعته التي يتميّز بها عن غيره ، فالحضارة الغربية الخاصة بالمجتمعات الأوروبية ، والمرتبطة بطبيعة هذا المجتمع والذوات الباحثة فيها والمنتجة لها ، ولا يمكن اعتبارها حالة عامة تتناسب مع جميع المجتمعات. وهذا ما أشار إليه حسن حنفي بقوله: ((نقد الوافد ، وبيان محليته وارتباطه ببيئته، وبتعبيرنا ردّه إلى حدوده الطبيعة ، وبيان تاريخيته، وكيف أنّه حالة خاصة ليس لديه من العموم والشمول ما يمكن أن يصبح وريثاً للحضارات البشرية جمعاء على عكس حضارة الأنا وقدرتها على ذلك))[6].

فمن خلال النظرة النقدية لكل من التراث والحداثة ، والثقافة التي نتجت عنهما، انطلق الانسان الشرقي نحو دراسة كل ما قدمته الحداثة ، وخلّفه التراث ، دراسة نقدية تهدف إلى تغيير الواقع نحو الأفضل مع عدم تجاهل تأثر هذا الانسان بما قدمته كل من الحداثة والتراث من معارف أغنت الحضارة الحديثة والعقل البشري وساعدته على امتلاك نظرة تاريخية نقدية في دراسة كل جديد وافد إليه ، فلم يتأثر بمنتجات الحضارة الجديدة إلى حد الذوبان ولم يسلّم بتعاليم التراث القديم والخضوع له . وبالإرادة الحرة سعى هذا الانسان الشرقي إلى الأخذ بالنافع من التراث والحداثة بما يحقق له نهضة فكرية واجتماعية واقتصادية وثقافية جديدة تساعده على تقديم معرفة جديدة تناسب روح العصر الجديد من حيث الزمان والمكان والأوضاع. فتتكون حضارة جديدة شبيهة بتلك الحضارة القديمة التي ما زالت آثارها وبصماتها ظاهرة حتى الوقت الحاضر على العالم والانسان ، فتبني بذلك المجتمعات الشرقية حضارتها الجديدة وتقدم انجازات ومعارف جديدة قائمة على نقد التراث والحداثة على حد سواء ، فتعيد مكانتها التي سلبت منها فترة طويلة من الزمن. وهذا ما نوّه إليه خاتمي عندما قال : ((نحن لسنا محكومين بالذوبان في نظام الحضارة الحديثة إلّا إذا كنّا لا نؤمن بدور الحرية وإرادة الانسان التي تتأثر بالطبع بالعوامل البيئية والتاريخية والاجتماعية، دون أن تكون أسيرة لها، بيد أننا

[4]– الجابري، محمد عابد، اشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1989، ص43.

[5]– حرب، علي، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، د.ت، ص85–86.

[6]–حنفي، حسن، التراث والتجديد(موقفنا من التراث الغربي) ، الدار الفنية، د.ت، ص58–59.

لا يسعنا بحال تجاهل كل هذه الانجازات الباهرة على صعيد العلم والاجتماع والسياسة . لمَ لا نحاول إيجاد علاقة جديدة مع الوجود بذهابنا إلى أبعد من الحاضر ، وذلك بالتسلح بنقد الحداثة والتراث معاً ، وأن نكون أصحاب رؤية جديدة نقيم على ضوئها حضارة جديدة))[7].

وبالنظر إلى الحالة العامة المتواجدة في المجتمعات الشرقية ، وإلى التحول الكبير الحاصل من الناحية التاريخية والقومية وحتى الثقافية ، وعلى صعيد العلاقة القائمة بين الثقافة العربية المعتمدة على المبادئ والأسس والقواعد القومية المتعلقة بالأرض والانتماء الجغرافي والتاريخي العميق ورغبتها بالتقدم ، وبين الثقافة العالمية الغربية المعتمدة على أسلوب نقد المعارف واخضاعها للتجربة والدحض لتأكد من قدرتها على مواكبة التطور والتقدم ، ومساعدة الدول الأوروبية على تحقيق المزيد من التقدم ، ونجد أنّ الثقافة الشرقية في حالة تبعية عمياء وتقليد لكل ما يتم تقديمه من قبل الثقافة الغربية . وهذا ما تحدث عنه طيب تيزيني عندما أشار إلى ذلك في كتابه التراث والثورة بقوله: ((مع ذلك التحول التاريخي الطبقي والقومي والايديولوجي ، تكتسب العلاقة بين الثقافة القومية الخاصة والثقافة العالمية العامة ، بين //النحن// و//الغير// صبغة جديدة تقوم على عدم التكافؤ والتقليد والتبعية))[8].

إلّا أنّ إدراك الشعوب الشرقية لأهمية دراسة الأوضاع والظروف التي مكّنت الشعوب الأوروبية من تحقيق نهضتها من خلال الحفاظ على نهضتها الثقافية والفكرية التي كوّنت هويتها المعبرة عن انجازاتها . وجب عليها كذلك الأمر العمل على وضع أسس جديدة متينة وقوية لهوية جمعية جديدة تساهم في المحافظة على استقلاليتها الثقافية والفكرية ، نظراً للاختلاف في الظروف والأوضاع بين هذه الشعوب الشرقية والأخرى الأوروبية ، لأنّ الثقافة والهوية وجهان لطرف واحد وهو الحضارة ، الحضارة التي من خلالها تؤمن الشعوب الشرقية عودتها مظفرة مكللة بالنجاح إلى مسار وخط التطور والتقدم المتجه نحو تحقيق المعرفة الكلية الشاملة من خلال مقارنة معارفها بمعارف الشعوب الأخرى لكي تؤمن وجودها وهويتها ، فلكلٍ هويته وثقافته التي تميزه عن غيره ، وتعتبر البطاقة الوجودية للعبور من نفق الحضارة الذي لا تُعرف نهايته أبداً. وهذا ما أشار إليه دوني كوشي بقوله: ((إنّ الدفاع عن الاستقلالية الثقافية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمحافظة على الهوية الجماعية . //الثقافة// و//الهوية// يحيلان إلى الواقع نفسه منظوراً إليه من زاويتين مختلفتين والمفهوم الذاتيessentialist للهوية لم يعد يقف في وجه الفكرة القائلة بأنّ الجماعة لا يمكن فهمها إلّا بدراسة علاقاتها بالجماعات المجاورة لها))[9].

حيث تتضح العلاقة التي تربط الشعوب مع بعضها البعض والتي تشكل الثقافة محورها الأساسي ، فكلٌ يسعى إلى تكوين ثقافته التي تميزه عن غيره وتعتبر الموروث الأهم في حياة الفرد الفكرية. إنّ هوية الفرد والمجتمع تتحدد من خلال الثقافة التي يكونها ، مما يجعلها أمرٌ عصيٌّ على الفهم من قبل الآخر ، لأنها تحمل صفات مجتمع بعينه بما يتألف من أفراد . فتشكل هوية هذا المجتمع الخاصة المختلفة عن هوية المجتمعات الأخرى ، لتغدو الثقافة والهوية وجهان لأمر واحد وهو تأكيد الكينونة الوجودية للمجتمعات الطامحة للتقدم واثبات نفسها في وجه المد الحضاري الغربي الهائل المتواجد في الساحة العالمية. فمن لا ثقافة خاصة به تميزه عن غيره لا هوية له ولا وجود ، ومن لا هوية له تثبت وجوده لا ثقافة له و كلٌ يدور في حلقة تأسيس ثقافة تحمل صفات ومميزات وقوانين ومعارف تميزه عن غيره ،

---

[7] **–خاتمي، محمد، مطالعات في الدين والاسلام والعصر، دار الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1998،ص89.**

[8] **– تيزيني، طيّب، من التراث إلى الثورة ، دار ابن خلدون ، د. م، 1976، ص78.**

[9] **– كوشي، دوني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة ، قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص8.**

وتؤكد وجوده . وهذا ما نوّه إليه إدغار موران قائلاً: ((العلاقة بين وحدة الثقافات وتنوعها أملاٌ جوهري. وتشكل الثقافة الموروث الاجتماعي للإنسان ، وتغذّي الثقافات الهويات الفردية والاجتماعية بما تحمله من خصوصية ، ولهذا يمكن للثقافات أن تبدو غير مفهومة بالنسبة إلى الثقافات الأخرى، وغير مفهوم بعضها إزاء بعض))[10].

لنجد أنّ تعاون الفرد والمجتمع لتكوين هوية جديدة يطلق عليها اسم الهوية الجمعية يُعتبر السبيل الوحيد الذي يوحّد الأمة ومعارفها وطرق تفكيرها وحياتها وثقافاتها ، ويؤمن لها طريق العودة الأمثل لخط الحضارة التقدمي ، وكذلك تعتبر الطريقة الوحيد والسبيل الجيد الذي يساعد المجتمعات وأفرادها للحفاظ على الارث الحضاري المعيّر عن شخصيتها الثقافية . فالهوية والثقافة مفهومان يتحد من خلالهما الفرد ويلتحم بالجماعة ليشكلا كلاً متكاملاً يحقق للشعوب وحدتها ، ويحدد طرق حياتها وأنماط معيشتها وكيانها الخاص الذي يميزها عن سواها بما يحمله من صفات ومميزات تساعد هذه المجتمعات على التقدم . وهذا ما أشار إليه عهد كمال شلغين عدما قال في كتابه الهوية العربية (صراعٌ فكري وأزمة واقع) معبراً عن ذلك : ((فاللسان الواحد يحافظ على هوية الأمة ومشاعرها ونمط تفكيرها ، وطرق حياتها وثقافتها وإرثها الحضاري))[11] .

ثانيا: طبيعة العلاقة بين المجتمعات الشرقية والمجتمعات الغربية:

بين الحلم الذي تتمسك به الشعوب الشرقية ، المتمثل بتشييد حضارة جديدة شبيهة بتلك التي شيّدتها منذ القدم ، وبناء ثقافة جديدة بأسس جديدة لا تتعارض مع ثقافتها السابقة من جهة ، وخضوع هذه الشعوب للحضارة الغربية الحداثوية ، وتأثرها بمنجزاتها التي امتدت إلى الشعوب كافة لما حققته من نجاحات على الأصعدة جميعها من جهة أخرى ، مثّلت أعظم المشكلات وأكثرها تعقيداً في العصر الراهن ، والتي لم تتمكن الشعوب الشرقية من إيجاد حلٍ مناسب لها ، ووجدت نفسها أمام خيارين اثنين . الأول ؛ أن تعود بأدراجها إلى حضارتها السابقة وتبقى قابعة داخل قوقعة تخلفها ، والثاني ؛ أن تبدع ثقافة جديدة تتماشى مع ثقافة الحضارة الغربية الحديثة وتتخلى عن بعض المبادئ والأسس والقوانين التي وجدت في حضارتها وثقافتها القديمة والتي لا تتناسب والتقدم الحاصل في المجتمعات المتطورة، ولا تحقق التقدم للمجتمعات الشرقية . وهذا ما تحدث عنه خاتمي في كتابه مطالعات في الدين والاسلام والعصر عندما قال: ((إنّ إحدى أعظم مشكلاتنا هي أنّ ثقافتنا أو الجوانب الهامة منها، تنتمي إلى حضارة قد غَبر عصرها ، وأنّ حياتنا واقعة تحت تأثير حضارة جديدة تقتضي ثقافة تنسجم معها هذا هو/عالمنا/))[12] .

إنّ السعي لاكتساب التقانة والتكنولوجيا بحاجة إلى دراسة الأوضاع والظروف والخلفيات التاريخية التي أدت لظهورها في الدول الأوروبية وساعدتها على التقدم ، وإدراك الاختلاف الجوهري بين هذه الدول الأوروبية والدول الأخرى من حيث الزمان والمكان والظروف ، والحل الأمثل للاستفادة من منجزات التقانة بما يناسب المجتمع فيأخذ به ويطور نفسه وينطلق نحو التقدم ، وهذا يساعد المجتمعات بشكل عام والمجتمع الشرقي بشكل خاص على التخلص من هيمنة الثقافة الأوروبية على الفكر الانساني كما فعلت اليابان ؛ الدولة العلمية الوحيدة التي لم تقع تحت سحلا الحضارة الغربية ، بفعل الأسس والقوانين العقلية والعلمية التي اتبعتها في دراستها للأشياء . وهذا ما يتوجب على المجتمع

[10]– موران، إدغار، النهج (إنسانية الانسان) (الهوية البشرية)، ترجمة ، هناء صبحي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2009، ص80.

[11]–شلغين، عهد كمال، الهوية العربية(صراعٌ فكري وأزمة واقع) ، وزارة الثقافة ، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2015، ص47.

[12]– خاتمي، محمد ، مطالعات في الدين والاسلام والعصر، دار الجديد ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1998، ص23.

الاسلامي الشرقي القيام به ، مما يجعل الوضع في البلدان الاسلامية الشرقية يتجه نحو التخلف ثانية بدل الاتجاه نحو التقدم ، ذلك أن الرأي العام المسيطر على الساحة الشرقية في الوقت الراهن هو قرار الموافقة أو الرفض على الأخذ بمنجزات التقانة الغربية والعمل بها كما هي عليه دون إدراك فكرة هامة جدا وهي أن تكون هذه المنجزات غير متوافقة مع قوانين ومبادئ وتقاليد المجتمعات الأخرى وتوجهاتها على الناحية الاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية والفكرية ، فانصب الاهتمام بعد إدراك ذلك على ضرورة اتباع اسلوب التحليل العلمي والنقد الثقافي للمعارف التي قُدّمت في القرن العشرين ، ليعتبر ذلك الخطوة الرئيسية الصحيحة التي يجب اتباعها لرسم وبناء المستقبل المتطور القائم على أسلوب النقد البناء والبحث العلمي والمعرفي . وهذا ما بيّنه السيد ياسين بقوله : ((ليس هناك خلاف على أن كل المجتمعات مهما كانت درجة تقدمها في الوقت الراهن . تقف وهي على عتبة القرن الحادي والعشرين أمام خيارات بالغة الصعوبة . في كل مجتمع من هذه المجتمعات ، هناك محاولات متنوعة ، وبالغة التناقض في توجهاتها الايديولوجية ، تهدف إلى التحليل الاجمالي الشامل لخبرة القرن العشرين في السياسة والاقتصاد والثقافة . وهذه المحاولات تعد هي المقدمة الضرورية لصياغة استراتيجية المستقبل))[13] .

إلاّ أنّ السيطرة الحداثوية الغربية على الساحة الثقافية والفكرية تشكل مشكلة تقف في وجه التقدم الشرقي، لذلك وجب ويجب التعامل مع هذه المشكلة تعاملاً نقدياً مع الثقافة الغربية بدراستها دراسة منهجية موضوعية لمعرفة الأسس والقوانين الأساسية التي قامت عليها ، والمبادئ التي رسمتها واتبعتها حتى وصلت إلى هذا التضخم الكبير على الأصعدة جميعها . ويجب على الدول الشرقية دراسة حيثيات هذه الثقافة الوافدة من الغرب من حيث الزمان والمكان وطبيعة المجتمع الذي ولدت فيه هذه الثقافة الغربية ، التي ساهمت بتحقيق التقدم والازدهار لهذه المجتمع الغربي، بعد أن عانى سنوات من الانحطاط والتخلف، بعد أن اتخذ من العقلانية سلاحاً ومن الروح النقدية أسلوباً ، فنهض من سباته الطويل وقدّم المعارف الجديدة التي طمحت وتطمح الدول الأخرى لاقتنائها . وهذا ما أشار إليه الجابري بالقول : ((إنّ التحرر من الغرب ... ونحن نتحدث هنا في دائرة الثقافة والفكر –معناه التعامل معه نقدياً ، أي الدخول مع ثقافته ،التي تزداد عالمية ، في حوار نقدي وذلك بقراءتها في تاريخيتها وفهم مقولاتها ومفاهيمها في نسبيتها ، وأيضاً التعرف إلى أسس تقدمها والعمل على استنباتها في تربتنا الثقافية ، وهي بصفة خاصة العقلانية والروح النقدية))[14].

فإذا ما نظرنا بداية إلى المشكلات التي تعاني المجتمعات الشرقية نظرة موضوعية نلاحظ أنها مشكلات مضاعفة وذلك لأن المجتمعات الشرقية متأثرة أشد التأثر بالغرب وثقافته التي أنتجها بعد أن قام بدراسة الأسس والقوانين التي سيتبعها لإنشاء وبناء حضارة خاصة به ، دراسة نقدية ساهمت في ارساء دعائم حضارته الغربية بما يناسب طبيعة مجتمعه الذي خرج من ثباته الثقافي والمعرفي والاقتصادي هذه الحضارة الغربية التي سافرت إلى أصقاع العالم كله واتخذت منها المجتمعات ثقافة وحضارة لها بغض النظر عما إذا كانت تناسب طبيعتها أم لا . وهذا ما حدث في المجتمع الشرقي الذي تبنى الحضارة الغربية دون إخضاعها للتجربة لمعرفة ما إذا كانت تتناسب وطبيعة المبادئ والقوانين التي تسير وتقوم عليها ثقافة مجتمعه . مما خلق مشكلة من نوع آخر ، مشكلة بعد أن كانت ثقافية فقط غدت اجتماعية واقتصادية وكذلك سياسية وخلق نوعاً من الاهتزازات في شخصية المجتمعات الشرقية أدت إلى تخلفها بدلاً من تقدمها،

[13]– يسين، السيد، العالمية والعولمة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، ط1، 2002، ص195–196.

[14]– الجابري ، محمد عابد، إشكاليات في الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ط1، 1989، ص43–44.

ففقدت الهوية الشرقية مكانتها، وحلّ مكانها الهوية المتغربة عن واقعها ومجتمعها الطامحة للتشبه بالثقافة الغربية . وهذا ما نوّه إليه خاتمي عندما قال : ((إنّ مشكلاتنا بالمقارنة مع مشكلات الغربيين تبدو مضاعفة ، فما سر ذلك ؟ السر هو في أنّ ثقافة الغربي منسجمة مع حضارته ، على الأقل ، وهو بالتالي لا يعاني من اهتزازات في الشخصية. أما نحن فمشكلتنا مضاعفة لأنّ حياتنا – الشخصية والاجتماعية – متأثرة أشد التأثر بالغرب ، ومن دون أن نأخذ بأسس الحضارة الغربية))[15] .

إلّا أنّ الدخول في بوتقة الأخذ بالمبادئ الثقافية الغربية لا يعني الأخذ بكل ما توصلت إليه هذه الحضارة الغربية واقتناء كل ما أنتجته وتنتجه ، وانّما الهمل على معرفة ما يناسب طبيعة المشاريع الشرقية التنموية التي تطمح الدول الشرقية للقيام بها بما يتناسب وطبيعتها للوصول إلى التطور الذي وصلت إليه المجتمعات الغربية . وذلك عن طريق التوجه إلى نقد ما قدمته المشاريع الغربية للوصول إلى ما يناسب المجتمعات الشرقية فتأخذ به وتقوم بعملية تصفية للمنتجات الأخرى سواءً الثقافية أو الفكرية أو الاجتماعية وحتى الاقتصادية ، وإعادة إنتاجه بما يناسب مبادئ وقوانين هذه المجتمعات ، ذلك أنّ الحضارة البشرية ليست حكراً على شعب دون آخر أو بلد دون آخر ، وإنّما هي ثمار جهد المجتمعات كاملة ، هذا الجهد المتراكم عبر سنوات عديدة من البحث والاستقصاء عن المعرفة والثقافة التي تقدّم للبشرية الأسس والقوانين التي تساعدها على التقدم والتطور . وهذا مانوّه إليه اسماعيل الملحم عندما قال حول ذلك : ((الانفتاح على الآخر لا يعني الذوبان في مشروعاته وإنّما العمل على تصفية ما يناسب مشاريعنا التنموية وإعادة إنتاجه . فالحضارة جهد بشري متنامي وإنتاج متراكم عبر تاريخ الانسان))[16].

لذلك فمهمة المفكرين والباحثين الشرقيين الطامحين لإعلاء حضارة مجتمعاتهم الشرقية تتمثل في إعادة ودراسة الحضارة الغربية بأسسها ومبادئها ومنجزاتها دراسة تاريخية كمرحلة من المراحل التي مرّت على مسار التكوين الحضاري للحضارة البشرية منذ القدم وحتى الآن ، فالحضارة الغربية ما هي إلّا حضارة تاريخية لذلك فهي نسبية ومتغيّرة ، كما كانت الحضارات من قبلها كالحضارة اليونانية التي شكلت في حقبة تاريخية المنبع الأساسي لتشكل الحضارات من بعدها ثم جاء بعدها الاسلامية التي كانت الأساس في نهضة الغرب من ثباته الطويل ، وأدت إلى تطور علومه ومعارفه بعد أن درس الغرب أسس الحضارة الاسلامية ومبادئها دراسة نقدية ، وأخذت منها ما يناسب طبيعة المجتمع الغربي ووضعت جانباً ما لا يناسب طبيعته، وهذا ما ساعد الغرب على التطور والتقدم . ومع ذلك لا وجود للثبات ولا وجود للاستقرار في الحضارة الغربية ، ولا وجود لشيء ثابت في التاريخ ، كل شيء خاضع لصيرورة تاريخية حركيّة تسعى لتقديم الجديد للبشرية دائماً. وهناك دائماً شيئاً جديداً في طور الظهور لا يمكن التنبؤ به لأنه خاضع للصيرورة التاريخية النسبية المتغيّرة . وهذا ما تحدث عنه حسن حنفي بالقول: ((إنّ مهمة مفكرينا وباحثينا هي إعادة صياغة فلسفات التاريخ الأوروبي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر خاصة والتي صاغت التاريخ كله بحيث يصيب في النهاية في الحضارة الغربية ، ووضع الحضارة الغربية في مكانها الطبيعي كمرحلة من مراحل تطور الانسانية والتي تكوّن مرحلة واحدة ، مجرد قوس صغير، ولكن ما زال وعينا بالتاريخ غائباً))[17] .

---

[15]– خاتمي ، محمد، الاسلام والعالم، مكتبة الشروق، ط1، 2001، ص19.

[16]– الملحم، اسماعيل، جدل الثقافة والسياسة في الفكر السياسي ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2012، ص82.

[17]–حنفي، حسن، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، د.ت ، ص42.

وطالما أنّ الزمان والمكان في تغيّر مستمر ، فالتغيرات لا بدّ أنها ستصيب العالم ككل في كل وقت ، وكل فكر أو ثقافة باحثان عن أسس ثابته لا تزول وتساعدهما على الثبات في وجه المد التكنولوجي والمعلوماتي التقاني الواسع الطيف ، وجب عليهما البحث عن صفات ومميزات تميّزهما عن غيرهما ، ليكون سبيل النجاة من كل ما هو قادم من تغيير، وهذا هو الحل المناسب للهوية الشرقية التي يجب عليها تمحيص ونقد كل المعارف الوافدة إليها من الدول الأوروبية بعيداً عن التعصب لأي طقس ومعرفة ، وبعيداً عن فوضى الثقافة التي مُنيت بها هذه الدول في الفترة المتأخرة من عصر ما بعد الحداثة ، نظراً لتعدد الاتجاهات المعرفية والثقافية ، من خلال ربط نتائج كل المعارف البشرية بالأسباب التي أدت إليها . وفهم حيثيات الزمان والمكان ، ودراسة الظروف والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ساعدت على النهضة الأوروبية وساهمت في انطلاق الثورة التقنية الكبرى التي غيّرت ملامح الشعوب جميعها . وهذا ما تنبّه إليه اسماعيل الملحم عندما قال : ((العالم في تغيّر مستمر ، والفكر العربي تتنازعه العصبيات، وتشغله الطقوس التي انتقلت من خانة العادة إلى خانة المقدس ، وما زالت الهوية العربية تبحث عن ذاتها وسط فوضى شملت المفاهيم وعبثت في غياب مؤسسات ومراكز بحوث جادة لا تخدم مصالح شخصيّة أو فئويّة أو ظرفية بقدر ما يكون البحث منصباً على تفسير ظواهر وفهم اتجاهات التغيّر وربط النتائج بأسبابها))[18].

خاتمة البحث:

فالحضارة الغربية ليست الحضارة الوحيدة التي وجدت على ساحة المعرفة العامة إلّا أنّها في الوقت الراهن الحضارة السائدة ، لذلك يتوجب على الباحثين الشرقيين السّاعين إلى تطوير مجتمعاتهم ، النظر إلى الغرب وحضارته نظرة محايدة أي دراستها دراسة علمية عقلية للوقوف على الجوانب الايجابية في هذه الحضارة ،والعمل على اتباعها من أجل تطوير الجوانب الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والثقافية المتواجدة في المجتمعات الشرقية. بما يناسب طبيعة هذه المجتمعات ويساهم في تطوير قدراتها على التشخيص والانتقاء والتفكير ، ويساهم في تقديم معارف جديدة تؤدي إلى تقدم هذه المجتمعات وتطويرها ، وإعادة مكانتها الحضارية التي سلبت منا فترة طويلة من الزمن ، من خلال تحرير الفكر من سلطة العادات والتقاليد وتسليحه بالحرية ، والعمل على الانفتاح على الآخر ، على الابداع لإعادة الروح الحيوية المفكرة ذات الإدارة الحرّة للعمل على نطاق أوسع في الساحة العالمية وتحقيق الذات والنهوض من جديد.

المراجع:

1- تيزيني، طيّب، من التراث إلى الثورة ، دار ابن خلدون ، د. م، 1976.

2- الجابري ، محمد عابد، إشكاليات في الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ط1، 1989.

3- حرب، علي، أوهام النخبة أونقد المثقف، المركز الثقافي العربي، د.ت.

4- حمرة العين، خيرة، جدل الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996.

5- حنفي، حسن، التراث والتجديد(موقفنا من التراث الغربي) الدار الفنية، د.ت.

6- حنفي، حسن، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، د.ت .

7- خاتمي ، محمد، الاسلام والعالم، مكتبة الشروق، ط1، 2001.

[18]- **الملحم، اسماعيل جدل الثقافة والسياسة ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2012، ص50.**

8- خاتمي، محمد ، مطالعات في الدين والاسلام والعصر، دار الجديد ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1998.
9- –شلغين، عهد كمال، الهوية العربية(صراعٌ فكري وأزمة واقع) ، وزارة الثقافة ، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2015.
10–كوشي، دوني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة ، قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.
11–الملحم، اسماعيل جدل الثقافة والسياسة ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2012.
12– موران، إدغار، النهج (إنسانية الانسان) (الهوية البشرية)، ترجمة ، هناء صبحي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2009.
13- يسين، السيد، العالمية والعولمة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، ط1 ، 2002.

References.

1-Tyzini,taieb.From heritage into revolution ,Iben khaldon publishing,1976.
2-Aljabiri,Mohmmed Abed .A problems in the modern Arabic thought.Alwahda al –Arabia center studies, Beirut, first ed,1989.
3-Harb,Ali.The illusions of the elite and criticizing the educator .The Arabic culture center.
4-Homrt alain ,Khaira.The dialectic of the modernity ,Arabic community publishing,Damascus ,1996.
5-Hnafy ,Hassan.The heritage and innovation (our perspective of the western heritage).Artistic publishing .
6- Hanafi, Hassan, Introduction to the Science of Oddity, Dar Al-Fannia, dt
7- Khatmy,Mohmmed.Islam and the globe ,Alshrouk library ,first edition,2001.
8- Khatmy,Mohmmed.Readings in Religion ,Islam and the age ,aljadeed publishing , Beirut,Lebanon,first edition ,1998.
9-Shligen,Ahed Kamal.The Arabic Identity (An intellectual conflict and a reality crisis) , Ministry of culture ,the Syrian committee Book,Damascus ,2015.
10-Koshi,Doni .The Concept of culture in the social science ,Translated by:Kasem Almikdad, Arabic assembly Publishing,Damascus,2002.
11-AL-melhem,Ismaiil.The dialectic of the culture and politics , Arabic assembly Publishing ,Damascus,2002.
12-Moran ,Edger.The method (The humanity of human being),the humanity identity,Translated by: Hanna Sobhy ,Abudabi committee of culture and heritage,UAE,first edition,2009.
13-Yassin ,Alsayed,The globalized and globalization ,Egypt Nahda for publishing,Egypt , 2002.